ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

"تعليمية النص الأدبي من النقد والتحليل إلى الإنتاج و التركيب"

أ / طاهر مزدك رشيدة
جامعة الشلف

Résumé:

"Didactique du texte littéraire: Du critique et de l'analyse à la production et la synthèse".

La didactique du texte littéraire constitue une importance considérable dans le vaste domaine de la didactique de la langue arabe en générale, et ce pour la simple raison que les autres activités d'apprentissage se reposent sur cette activité linguistique.

Parmi les idées les plus révolutionnaires dans ce domaine c'est l'apparition de la linguistique du texte comme base de référence sur le modèle d'apprentissage de la langue; et de ce fait l'idée qui considère le texte comme pivot d'apprentissage peut mener à une meilleure contribution de la notion du texte dans le processus d'apprentissage de la langue arabe en intégrant l'activité de l'expression orale et écrite dans ce processus qui était tant abandonné par les linguistes et les didacticiens.

لقد اهتمّ علماء اللغة بالظاهرة اللغوية وجعلوها موضع تحليلاتهم على اختلاف مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والدلالية و التركيبية، فظهرت النظرية اللغوية تلو الأخرى تخالفها أو تستدرك ما بها من قصور، ويتفق كثير من الدارسين على أنه مع هذا التنوع في الاهتمام إلا أنه اقتصر

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

على حدود الجملة ولم يتعدها إلى ما هو أكبر منها ولذلك يعد اهتمام علماء اللغة المحدثين بالنص من أهم التطورات في ميدان البحوث اللغوية، فيرى أنصار علم النص أن اقتصار البحث على مستوى الجملة يظل منقوصا قاصرا عن الإلمام بأسرار الظواهر اللغوية والتواصلية.

ولعله لا يختلف اثنان في أن اللغة العربية كانت من أكثر اللغات التي اعتنى بها أهلها، ودأبوا على خدمتها شرحا ونقدا وتحليلا كونها المجال الذي تميزوا فيه عن الأمم الأخرى من جهة، و كونها لغة القرآن كتابهم المقدس مصدر الشريعـــة و الأحكام من جهة أخرى، وكان ذلك من أجل تلمس مواطن الإعجاز والجمـــال و الكشف عن النظام اللغوي الكامن في أذهان العرب الفصحاء.

لقد خضع البحث اللغوي العربي إلى الخطوات التي تضفي عليه طابع العلمية؛ فقد أخضع اللغويون ما جمعوه من مادة لغوية -كما صدرت عن أفواه قائليها من الأعراب الفصحاء - إلى الملاحظة و التحليل والاستقراء، فكان من غير الممكن ضبط مدلول كلمة ما منعزلة عن سياقها الطبيعي الذي وردت فيه،إضافة إلى أن المتأمل لسمات الدرس اللغوي العربي يجد أن معظم جهود اللغويين قد انصبت حول محاولة فهم النصوص وتحليلها من أجل استنباط الأحكام على اختلاف المستويات التي تتعلق بها، وبالمقابل لم يلتفتوا كثيرا إلى البحث في آليات تركيب النصوص وانسجام أجزائه، ولعل ذلك يرجع إلى عدم حاجة العرب إلى ما يعينهم على الأداء اللغوي السليم الذي يتعدى مستوى الجملة.

ولقد ورد في التراث ما يدل على ذلك، ومنها ما جرى بين الأصمعي والأعرابي عندما قرأ:"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم"[1].

فأنكر عليه الأعرابي ذلك، وأكد أن هذا ليس من كلام الله، فالله أحكم الحاكمين،

ولا يمكن أن ينقض أول كلامه بآخره، فـ"اقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله" موقف عزة وحكمة وليس بموقف مغفرة ورحمة، فكيف يقول غفور رحيم؟ وهذا

الموقف إنما يدل على معرفة العرب بلغتهم، ومقدرتهم على إنتاج

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

النصوص وفهمها قدرة قد تفوق مقدرة علماء اللغة -كما رأينا- وذلك قبل أن يتسرب اللحن إلى ألسنتهم باحتكاكهم بالأمم المجاورة، واللحن لم يؤثر على ألسنة العرب على مستوى نطقهم للأصوات أو تحديد حركات الإعراب الصحيحة بل تعداه إلى أن أوشك على مس النظام اللغوي في الأذهان.

وقديما وإن كان النحاة العرب لم يهتموا بالإنتاج النصي، وخاصة عندما دعت الحاجة إلى إيجاد نوع من القواعد التي يسترشد بها المتكلم، وتعينه على الاستمرار والاسترسال في حديث من أجل الإبانة عن الفكرة التي يريد إيصالها لمستمعيه، وذلك لظهور اللحن –كما سبق الحديث عنه- فظهرت عدة محاولات لتيسير استعمال العربية، وقد اختلفت مضامينها ومستوياتها مع اختلاف المستوى الذي وصل إليه اللحن، فلم تتعدّ مستوى الجملة الواحدة، إلى أن حلّ القرن الرابع الهجري – وهو القرن الذي حدده اللغويون لحصر زمن الفصاحة- حيث اتسعت نظرة اللغويين والنحاة للغة باعتبارها كمّا من العناصر اللغوية المنسجمة تؤلف نصوصا إبداعية.

ويعتبر الجرجاني من أبرز من أشار إلى ضرورة انسجام الجمل وترابطها لخدمة المعنى المراد تبليغه، فيقول في تحديد مفهوم النحو:"قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"[2]، فقد جعل انضمام الجمل وتعالقها بعضها ببعض من أجل اتساق العبارة الواحدة من اهتمامات علم النحو، متجاوزا بذلك حد الجملة الواحدة.

أما ابن خلدون فقد أشار في مقدمته إلى أن متعلم اللغة يصل إلى درجة الإتقان حينما يصبح قادرا على تركيب المفردات بعضها ببعض للتعبير عن مقصوده وفق ما يقتضيه الحال، يقول:"اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب.

فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبّق الكلام على مقتضى

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع"[3]. فلا يكفي الاقتصار على قوانين الألفاظ المفردة ثم تركيبها في جمل، بل لا بد موافقها لمقتضى الحال فيصيب المتكلم غايته ويعبر عن مراده، ولا يتحقق ذلك بجمل مفردة دائما، بل إنه غالبا ما يُحتاج إلى تراكيب تتعدى مستوى الجملة الواحدة.

أهمّية النصوص في التعليم:

أصبح علم النص من المجالات المطروقة في القضايا المتعلقة بتعليم اللغة وتعّلمها، فيرى أنصار هذا الاتجاه أن النص هو الأساس في تعليم اللغة ؛ نحوا وصرفا وبلاغة وأساليب، وذلك نظرا لكونه الصورة الطبيعية لجريان اللغة على ألسنة متكلميها في الواقع. فيرى أنصار الدراسة النصية أننا نتواصل بنصوص وليس بجمل معزولة، فمهما قصر ما يصدر عنا من كلام فإنه لا بد أن يكون مرتبطا بما قبله أو بما بعده وإلا كان مجرد كلمات أو جمل متناثرة لا تخدم المعنى المراد تبليغه كذلك التي يصدر عن المجانين.

يمثل النص الأدبي اللغة في صورتها الطبيعية المتكاملة إذ تتضافر الجوانب المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأساليب لخدمة المعاني التي يحملها هذا النص، فلا يمكن الفصل بين هذه الجوانب، أو القفز على أيّ منها، إذ لا يمكن تذوق جماليات أي نص مالم تفهم مفرداته وتراكيبه، "فينبغي في تدريس اللغة أن ننطلق من وحدة خطابية، وهي نص مسموع ومكتمل الأطراف ... ليحصل إدراكه بما فيه من العناصر الجديدة، أي من جميع جوانبه الصوتية و البنوية والدلالية."[4]

وكذلك يرى علماء النص المحدثون وأشهرهم "دي بوجراند" أن النصوص يجب أن تكون منطلقا في كل عملية تعليمية مهما اختلفت مجالات العلم، فيتمكن المتعلم من تحليل النص و تفكيك مركباته والربط بين معطياته وتصنيفـــها، و يفترض بالمقابل أن نبتعد عن الطرائق القديمة التي يُلجأ فيها إلى حشو ذهن المتعلم بطائفة من الحقائق العرضية التي تستعصي على الفهم في نظام ملتحم وعملي[5]. وهذا ما تسعى لسانيات النص إلى إدراجه في صلب الحديث عن الاهمية المعطاة لمفهوم

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

النص في العملية التعليمية، وسواء كان هذا النص كتابيا أم شفاهيـا. و لا يسع المجال للخوض في السجال حول آليات التفريق بينهما.

"En écrivant ،des mots nous communiquons au moyen de mots. En parlant nous communiquons non seulement avec mais avec tout notre corps. C'est pourquoi la notion de texte est employée différemment selon qu'il s'agit de communication orale ou écrite"6.

"عندما نكتب فإننا نتواصل بواسطة الكلمات. و عندما نتكلم فإننا نتواصل ليس بواسطة الكلمات فقط، بل بكامل جسمنا. و على هذا الأساس فإنّ مفهوم النص مستعمل بصفة مختلفة حينما يتعلّق الأمر بالتعبير الشفوي أو التعبير الكتابي ".

إشكاليات التحليل و التركيب النصي من الناحية البيداغوجية:

مما يؤخذ على الدراسة النصية اقتصارها على جانب الدراسة والتحليل والنقد دون اهتمامها بجانب التركيب والإنتاج فتبقى الفائدة منقوصة غير تامة، حيث يبرع المتعلمون ـ بطول ممارستهم ـ في تحليل مختلف النصوص غير أنهم لا يستفيدون منها في مجال الإنتاج ومحاكاة تلك النصوص. وأصبحت المناهج التعليمية الحديثة تتخذ من النصوص منطلقا في تعليم اللغة، تستقى منه الأمثلة والقواعد النحوية والصرفية والصور البيانية والمحسنات البديعية، إضافة إلى الأساليب وأنماط التعبير، وذلك ما يعرف بـ"المقاربة النصية" التي تقوم على دراسة النصوص المكتوبة المعتمدة دراسة شاملة تمكّن المتعلم من التعرف إلى خصائصها اللغوية والفنية من تحليل الأفكار الواردة فيها ومن إدراك الآثار التي تخلفها هذه الأفكار في نفسه، ومن ثمة كانت المقاربة النصية مناسبة لتعلم اللّغة وكان النص الوسيلة الأساسية التي تعتمد في هذه المقاربة[7].

ومن ذلك توظيف النصوص بالطريقة الموالية ـ كما سطرته وزارة التربية الوطنية ـ لدراسة نشاطات اللغة العربية للسنة الأولى متوسط:

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

1- نص تواصلي: - قراءة صامتة. - فهم عام. - قراءة جهرية. - دراسة مفردات و تعابير. - دراسة قاعدة إملائية.	**01 ساعة**
2- قراءة مشروحة : - قراءة جهرية :آليات القراءة الجهرية. - تحليل مضمون النص. - دراسة باب من أبواب قواعد اللّغة (تراكيب نحوية و صيغ صرفية).	**02 ساعة**
3- دراسة نص أدبي : **- النص النثري:** - القراءة الجهرية. - تحليل المضمون - دراسة خصائص النص الشكلية والفنية واللّغوية. **- النص الشعري:** - الأداء الشعري. - تحليل المضمون. - دراسة بعض المصطلحات الأدبية.	**01 ساعة**
4- تعبير كتابي : - إنتاج نص بإدماج المعارف المكتسبة.	**01 ساعة**
5- مطالعة: - تحليل مضمون النص - استثمار النص.	

ما يُلاحظ أنه يتم الاعتماد فعلا على النصوص في تقديم نشاطات اللغة العربية، فتستغل في الإملاء، وفي التدريب على القراءة، وفي القواعد النحوية و الصرفية وحتى لبعض الظواهر الصوتية الصرفية بالنسبة للمستويات الأخرى، كما تستغل في التدريب على التذوق وتلمس

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

جماليات التعبير، ومن أجل تنمية الرصيد اللغوي والمعرفي. ومع ذلك كله يظهر الاهتمام بالجوانب التحليلية على حساب التركيب، وذلك حين تخصص عدة حصص للتحليل النصي، أما ما يخصص للتركيب فهو لا ينحصر سوى في ما يُقدم في حصة التعبير الكتابي أو الشفهي، وهو قدر ضئيل إذ كيف يعقل أن يُمرن المتعلم على توظيف ما اكتسبه في أربع حصص في حصة واحدة. هذا إذا افترضنا أن حصتي التعبير الكتابي والشفهي تنالان الاهتمام الكافي الذى تحظى به نشاطات التحليل.

ولذلك ينبه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة الحرص على تكثيف تدريب المتعلمين على استعمال اللغة بدلا من حشو أذهانهم بالمعلومات النظرية ويبيّن أنه ليس المقصود في مجال الدراسة اللسانية " الكشف عن أنجع طريقة لتحصيل المتعلم ثروة لغوية واسعة قد تفضي في مرحلة ما إلى شحن ذاكرته بالمئات من الألفاظ والتراكيب، إنما المقصود هو تحصيله لمهارة معينة وهي القدرة الكبيرة على التعبير الدقيق عن جميع الأغراض، وجميع ما تقتضيه الحياة العصرية وظروف التبليغ الكتابي والشفوي بصفة عامة."[8]

فقد أصبح يلاحظ أن المتعلمين ـ وخاصة المجتهدين منهم ـ يتمكنون من فهم القواعد وتطبيقها تحليلا كأن يحددوا المحل الإعرابي للكلمات أو كان يستخرجوا الأفعال والفاعلين والمفعولات والأحوال، أو أن يحددوا النكرات والمعارف، ومع ذلك كله يتعثرون في التعبير عن مقاصدهم، ويظهر ذلك خاصة في حصص التعبير الشفهي فلا يتمكّنون من متابعة الكلام والاستطراد فيه، وغالبا ما يترددون في الإقبال على المشاركة في الكلام.

مشاكل التحليل والتركيب من الناحية العلمية:

لعل المتأمل للنظريات اللسانية يجد أنها اهتمت بتحليل الظاهرة اللغوية ومحاولة الكشف عن النظام اللغوي المختزن في أذهان المتكلمين وكيفية جريانه على ألسنتهم، ولم تهتم بجانب الإنتاج إذا استثنينا النظرية التوليدية، حيث اهتم تشومسكي بتحليل الجملة باعتبارها نموذجا يحتذيه المتكلم ـ دونما شعور ـ في بناء عدد لا متناه من الجمل، ومع ذلك بقي الاهتمام منحصرا في الجمل، ولعل العمل الذي ينطلق من التحليل لا

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

يكتمل إذا لم نهتم بالتركيب في مستوى النصوص باعتبارها صورة الطبيعة لجريان اللغة.

يرى برينكر أن الهدف من تحليل النصوص هو إلى جانب الإسهام في فهم الكفاءة النصية الخاصة القدرة على فهم نصوص غير معروفة وإنتاج نصوص مناسبة، إذ لا ينبغي أن يُهتم بتحليل النصوص بمعزل عن الاهتمام بإنتاجها[9]، فمع أن برينكر كان مهتما في كتابه " التحليل اللغوي للنص" بالتحليل ـ كما يدل عليه العنوان ـ إلا أنه نبّه إلى شق آخر من علم النص هو ذلك الذي يهتم بالتركيب وإنتاج النصوص، إذ لا يُعقل أن نهتم بجانب التحليل النصي دون الاهتمام بجانب التركيب كخطوة تابعة لازمة وضرورية للتحليل.

لقد كان هذا المجال ولا يزال غير يسير إذ لم تتمكن الأنحاء الحديثة من إيلائه الاهتمام الكافي، أو إيجاد قواعد مضبوطة تضمن محاكاة النصوص التي تم تحليلها وإنتاج أخرى جديدة، ويقرّ روبرت دي بوجراند ذلك إذ يقول:"إذا قابلنا بين إنتاج النصوص وفهمها وجدنا الإنتاج قد أهمل فلم يستكشف، ويرجع السبب في ذلك إلى أن التحليلات اللغوية يمكن أن تُعدّ نموذجا لفهم اللغة أكثر مما تُعدّ نموذجا لإنتاجها."[10]

و يقول في موضع آخر:"وقد يكون من المطلوب أن نحصل على نموذج لغوي يستعمل نفس الإجراءات الصياغية من أجل استقبال النصوص وإنتاجها"[11]، فمعظم القواعد التي تستخدم في تحليل النصوص ودراستها قاصرة عن أداء دور ها في عملية الإنتاج، ولذلك يجب الحرص على إيجاد قواعد محكمة تنطلق من النص تحليلا لتصل إليه تركيبا، والشكل الموالي يوضح لنا كيف تتم العملية.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

لقد أدرك المهتمون بهذا الجانب هذه الحقيقة وخاصة بعد الجهود الحثيثة التي بذلها علماء النص، فعملوا على تقديم نصوص ذات جودة للمتعلم، ثم جعله بعد ذلك يعمل على محاكاتها، من ذلك "أن ينطلق المعلم بالمتعلم من نص مقترح وتحليله لاكتشاف التقنيات التي تسهل محاكاته، وتحرير نصوص تماثله."[12]

غير أن ذلك قد لا يكون ذلك ممكنا في كثير من الحالات للأسباب التالية:

- القدرة على الإنتاج تتفاوت من شخص لآخر لعدة اعتبارات، منها درجة الذكاء وظروف الإنتاج وملابساته، ويعترف دي بو جراند نفسه بذلك.[13]
- كثيرا ما تتجاوز محاكاة المتعلم للنص الحدود التي يحددها المعلم، فتجده يعيد كتابته مع بعض التغييرات البسيطة، ولأجل التأكد من هذا الرأي قمنا بوضع هذا النص بين أيدي المتعلمين للتحليل والفهم ولمناقشة.

"مرت اثنتا عشرة ساعة من اليوم الثاني عشر من ديسمبر 1901 فتسارعت دقات قلب ماركوني، المخترع الإيطالي الشاب، واشتد قلقه واضطرابه في انتظار تجربة جهاز اللاسلكي الذي وفق في تصميمه بعد سنوات البحث والدراسة.

مضت الدقائق كأنها سنوات، وهو جالس لا يتحرك، ولا ينطق بكلمة. وأخيرا انبسطت عضلات وجهه، وابتسم ابتسامة رقيقة، وقال لمساعده:" اسمع هل تسمع؟ إنها الدقات الثلاث المتفق عليها لقد عبرت المحيط الأطلنطي عبر الهواء".

ثم أملي عليها المطلوب التالي:" شعرت بقلق واضطراب في انتظار نتيجة الامتحان"

اكتب فقرة في بضعة أسطر تصف فيها حالك، موظفا التشبيه.

كان معظم ما أنتجه المتعلمون يقترب من النص الأصلي اقترابا شديدا، ومنها ما أوشك أن يكون مجرد إعادة لما ورد فيه، وعلى سبيل المثال التشبيهات كانت تحاكي التشبيه الوارد في النص، منها:

" مضت الساعات كأنها سنوات."

" مضت الأيام كأنها أسابيع."

" مضت الدقائق كأنها ساعات."

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

فتجده يحافظ على بنية الجملة (فعل+ فاعل + ضمير+اسم)، بل إنه يحافظ على الفعل (مضى)، وأطراف التشبيه، إذ تدل كلها الزمن ليعبر التشبيه على طول مدة الانتظار، واتجه القليل منهم من النجباء إلى إنتاج جملة مستقلة، مثل:"اصفرّ وجهي كحبة الليمون". " كنت أرتجف كقصبة هزّها الريح"

و من ناحية أخرى وُجد أن أغلبهم حاكى بنية النص، كقول أحدهم:" مرت خمسة عشر يوما بعد أداء امتحان شهادة التعليم الأساسي فاشتدّ قلقي واضطرابي....."

ـ قد يبتعد عن النص الأصلي كثيرا، فتضيع سماته التركيبة والجمالية كأن ينطلق من نص حجاجي، أو إخباري ليصل إلى نص سردي غالبا، فقد لوحظ أن أغلب المتعلمين يتجهون إلى السرد مهما طلب منهم إنتاج نصوص إخبارية أو وصفية أو حجاجية، كأن تكلفه بإنتاج نص يصف من خلاله فرحته بعيد الأضحى فإنه يتجه مباشرة إلى سرد أحداث هذا اليوم، وبذلك لا نستفيد من تحليل النص الذي انطلقنا منه في عمليتنا التعليمية.

ولذلك فإنك ستجد فروقا كبيرة بين النصين؛ الأول الذي انطلقنا منه تحليلا، والثاني الذي وصلنا إليه تركيبا، وذلك مع استعمال القواعد نفسها في الاتجاهين، بل قد يكون المنتوج مختلفا تماما، وغالبا ما يكون أقل جودة وقدرة على التعبير عن المعنى المقصود.

النص الأصلي ـــــ قواعد التحليل والتركيب ـــــــ النص الجديد1

النص الجديد1 ـــــ قواعد التحليل والتركيب ـــــــــ النص الجديد2

ومن ذلك ما يلاحظ عند المتعلمين في نهاية الطور المتوسط حيث يلجأون إلى تلخيص النص تلخيصا شديدا يُعرف باستخراج الفكرة العامة، ويشترط أن تكون ذات دلالة شاملة على مضمون النص، وذلك بإهمال الأمثلة الفرعية والشواهد والتفصيلات الدقيقة، فإذا طلب منهم اتخاذ هذه الفكرة منطلقا للتوسع من أجل كتابة نص – وذلك ما يعرف في تقنية التعبير الكتابي بتوسيع الفكرة – حصلوا على نصوص تختلف اختلافا كبيرا عن النص الأصلي، كما تختلف فيما بينها رغم أن قواعد المستخدمة في التحليل من أجل استخلاص الفكرة العامة هي نفسها تطبق

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

عكسيا للتوسع في تلك الفكرة، وهي نفسها التي استخدمها المتعلمون، إذ يقتضي توسيع فكرة ما أن يقوم المتعلم بشرح معانيها الأساسية، مع ضرب الأمثلة والإتيان بالشواهد

ومثال ذلك هذا النص الذي عنوانه:"أحب العاملين" لجبران خليل جبران بتصرف[14]، يقول:"أحب الذي يشتغل بفكره فيبتدع من التراب صورا حية جميلة نافعة، وأحب ذلك الذي يجد في حديقة ورثها عن أبيه شجرة تفاح واحدة، فيغرس إلى جانبها شجرة ثانية، وذلك الذي يشتري كرمة تثمر قنطارا من العنب، فيعطف عليها ويدللها لتعطي قنطارين، وأحب الرجل الذي يتناول الأخشاب المهملة، فيصنع منها مهدا للأطفال، أو قيثارة للأنغام، والرجل الذي يقيم من الصخور التماثيل والمنازل والهياكل.

أحب الذي يحول الطين إلى آنية للزيت، أحب الذي يحوك من القطن قميصا ومن الصوف جبة ومن الحرير رداء. وأحب الحداد الذي ما أنزل مطرقته على سندانه إلا أنزل معها قطرة من عرقه. وأحب الخياط الذي يخيط الأثواب بأسلاك مشتبكة بأسلاك من نور عينه، وأحب النجار الذي لا يدق المسمار إلا إذا دفن معه شيئا من عزيمته.

وفي قلبي حب عميق للراعي الذي يقود قطيعه كل صباح إلى المروج الخضراء، ويورده المناهل الصافية، ويناجيه بشبّابته النهار بطوله.

أحب من الناس العامل لأنه يجدد أيامنا ولياليا، وأحبه لأنه يطعمنا كل صباح، أحبه لأنه يغزل ويحوك لنلبس الأثواب الجديدة، أحبه لأنه يبني المنازل العالية، وأحب ابتسامته الحلوة، وأحب نظرة الاستقلال والحرية في عينيه".

كانت الفكرة العامة لهذا النص:"الحب و الاحترام الذي يكنه الكاتب للعمال المتفانين في أعمالهم مهما كان نوعها". وبعدها كلّف المتعلمون باتخاذ هذه الفكرة منطلقا للتوسع لكتابة النص من جديد، من غير الاطلاع على النص الأصلي، فكان المنتوج نصوصا متعددة تختلف عن بعضها، وتتفاوت درجة جودتها حسب مستويات المتعلمين، كما تتفاوت في درجة اقترابها من شكل ومضمون النص الأصلي.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

وفي النصوص المنتجة لوحظ ما يلي:ـ غياب خصائص وسمات النمط الإخباري، حيث تحول بعض المتعلمين من الإخبار إلى الحث والإرشاد، ومن الحديث عن الغائب إلى المخاطبة، كقول أحدهم:"خلق الله الإنسان، وحباه بنعم كثيرة وما يجب على الإنسان إلا الشكر بالقول والعمل، فيا أيها الشباب الواعد أنتم شعلة الحياة ومعقد الرجاء عليكم ألا تنظروا إلى ما ينتجه غيركم..."

عبارات مفككة تفتقر إلى الانسجام لا يجمعها موضوع واحد في مثل:"أحب المتفانين في أعمالهم، وأحتقر الذين يعيشون على حساب غيرهم.

أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلّم بإتقان العمل، ومن يتقن عمله أحبه الله، ومتى كان العمل متقنا كان أجره عند الله عظيما، والعمل يحمي الإنسان اجتماعيا واقتصاديا..."

ـ تقليد شديد للنص الأصلي مع بعض التعديلات في مثل:"أحب الذي يشتغل بفكره وعزيمته كذلك الذي يصنع من الطين الأواني، وذلك الذي يغرس شجرة تثمر قنطارا ويجعلها تثمر قنطارين، وما تقول في ذلك الذي يحول الصخور إلى هياكل وتماثيل..."

ـ توظيف سيئ للآيات والأحاديث والعبارات الشهيرة في مثل:"العمال هم الذين يجعلون قولهم برقا صادق الخبر، فلا خير في قول لم يتبعه فعل". و عبارة "يجعلون قولهم برقا صادق الخبر" لا تناسب مقام الحديث عن العمال، وإنما تستعمل للحديث عمّن يُتبع قوله عمله بصفة عامة.

وهذه المؤاخذات ليست إلا بضعا مما يعانيه متعلمونا، وهذا إذا غضضنا النظر عن أولئك الذين قد يصل بهم الأمر إلى حد العجز عن التعبير باستعمال جملتين متتاليتن ومنسجمتين تناسبان ما يريدون الإفصاح عنه، ولعل الوقت يكون قد حان لأن نعيد النظر في طرق تعليمنا للغتنا حتى يكون تعليمها من أجل استعمالها لا من أجل الاقتصار على العلم بقواعدها، ولا يخفى أن الحاجة إلى الاستعمال أمس ومجالاتها أوسع، وأن تعليم اللغة في المراحل الأولى يهدف إلى التمكين من ناصية اللغة أكثر مما يهدف إلى مجرد العلم بقواعدها. و القواعد وإن كان يُعتمد

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

عليها في العملية التعليمية فهي ينبغي أن لا تتعدّى كونها مرشدة إلى الاستعمال الصحيح ومُعينة عليه، وأن استهداف القواعد لا يكون قبل بلوغ مراحل التخصص. وينبغي التنبيه إلى أن دعوة إلى إعادة النظر في طرق تعليم اللغة يجب أن تصاحبها دعوة إلى النظر في طرق دراستنا للظاهرة اللغوية تحليلا وتركيبا؛ تحليلا بالاهتمام بالظاهرة اللغوية في صورتها الطبيعية باعتبارها قطعا كلامية مختلفة الأحجام قد تفوق مستوى الجمل المعزولة، وتركيبا باعتبار هذا الأخير لازما للتحليل وتابعا له من جهة، ولشدة الحاجة إليه لكونه معينا على الاستعمال من جهة أخرى.

الهــوامش:

1: الآية 38 من سورة المائدة.

2: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 105.

3: ابن خلدون، المقدمة، ص574 .

4: الحاج صالح عبد الرحمان، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص237.

5: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، ص554.

De ،6. Nicole Delbecque: Linguistique cognitive P 226.، 2006، Belgique،Boeck. duculot

7: الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم المتوسط.

8: الحاج صالح عبد الرحمن، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص206.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

9: انظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص17، وانظر تعليق المترجم سعيد حسن بحيري يقول:"من البديهي أنه لا ينبغي ألا يندرج تحت ذلك أن المعارف المكتسبة من خلال التحليل اللغوي للنص يؤدي مباشرة إلى توسيع الكفاءة الإنتاجية مهما كان افتراض تحول هذه الكفاءة من معرفة قاعدية نصية إلى إنتاج لنصوص وفق القواعد بسيطا.

10:روبرت دي بوجراند، ص420

11: نفسه، ص420

12: دليل اللغة العربية للسنة الثانية متوسط، وزارة التربية الوطنية، ص95 .

13: انظر المرجع السابق،ص420.

14: الكتاب المدرسي للسنة الرابعة متوسط الصادر عن وزارة التربية الوطنية، ص 56.